وربما قصد ابن رشيق مما قرره من الاختلاف والاستحسان استعمال اللغة فى مستواها الأدبى لا اللغوى ، لكن الأمر فى الحقيقة لا يختلف ، فكما يتغير العرف الفنى للغة من عصر لعصر ، يتغير العرف اللغوى أيضا بطريقة مماثلة ، والفرق لم يكن فى هذا التغير ، بل كان فى نظرة الدارسين العرب له ، فقد اعترف به دارسو الأدب — ومنهم ابن رشيق — فتطورت دراستهم مع العصور ، ورفضه دارسو اللغة — مع أنه أمر واقع — فتوقفت قافلتهم عند عصور خاصـــة رفضوا تجاوزها . أما اللغويون المحدثون فإنهم يأخذون التغير فى اللغة باعتبار العصور مأخذ الضرورة الواقعة . وينظرون — بناء على ذلك — إلى نشاط مستعمل اللغة بعين عصره ، مقتصرة تلك النظرة فى قياس هذا الاستعمال على العصر الذى حدث فيه ، دون عصور سابقة أو لاحقة .

يقول سترتفنت Sturtevant : تضع مدارس النحو الوصفية نصب عينيهـــا تقديم المساعدة فى تعلم اللغـة فى فترة معينة من فترات تاريخها مفترضة أن اللغة نظام معين من الصيغ يستخدم بطريقة خاصـة ، وأن المستعملين للغة ينظرون إليها على أنها ثابتة Static مع أنها فى الحقيقة تتغير باستمرار[1] .

فمهمة النحوى تقديم المساعدة فى تعلم اللغة فى فترة خاصة مع افتراض ثباتها فى تلك الفترة — كما يحس بذلك المستعملون لها ظاهريا — مع أنها فى الحقيقة تتغير باستمرار ، وهـذا التغير يخضع له متكلم اللغة فى نشاطه دون تعمد ، ويجب على الباحث مراعاته أيضا عند وصفه لهذا النشاط .

---

(١) An Introduction to Linguisct Science, P. 53